

والكيمياء والطبيعة والطب إنما نريد أن نلفت إلى أن كل علمائنا وفلاسفتنا في الأقطار العربية كانوا يتعاملون بلغة علمية وفلسفية مشتركة: لغة مصطلحاتها الفلسفية والعلمية واحدة، ولا خلاف في أى مصطلح بين من يشتغل بعلوم الأوائل. ومن يقرأ الكندي والرازي والفارابي وابن سينا في الشرق يستطيع أن يقرأ بسهولة أيضاً ابن باجة وابن طفيل وابن رشد في الغرب. وعلم كعلم الطب الذى أودعه ابن سينا كتابه القانون قلما يجد المتخصص في الطب بالشام مثل ابن المقف وبصر مثل ابن النفيس وبالأندلس مثل ابن زهر ولا بأى بلد عربية أخرى في مختلف الأزمنة الماضية عسراً في تمثل ما كتب فيه لأنه كتب بنفس المصطلحات التى كانت متداولة للطب في العالم العربى.

وعلى هذا النحو كان ما يؤلفه عالم في الطب أو غير الطب وكل ما يحتويه علمه من تجارب وكل ما يحصل عليه من نتائج يشيع عنه في الأمة العربية ويتدارسه أبنائها في كل بلد، وبالمثل كل ما يكتبه فيلسوف في إيران أو في بغداد أو في أى قطر عربى يشيع في الأقطار الأخرى، مما هيأ لنهضة فلسفية وعلمية كبرى، إذ تعاون علماء الأمة وفلاسفتها في كل فرع من فروع العلم وفي كل جوانب الفلسفة واتجاهاتها. وكل تال يأخذ عن سابقه ويؤسس على علمه إن كان عالماً وعلى فلسفته إن كان فيلسوفاً، مما هيأ بقوة لأن تصبح الفلسفة ويصبح العلم في الأمة تراثاً مشتركاً، بل تراثاً واحداً.

ومما يدل بعمق على إحساس الأمة بوحدة هذا التراث وأنه يتشبه بذاتيتها وشخصيتها أننا نجد عرب الأندلس يتمسكون به، ولا يحاولون أى محاولة في الاستقلال بحركة علمية أو فلسفية أساسها الترجمة عن اللاتينية، وكان تراثها معروفاً في الأندلس قبل دخولهم إليها، غير أنهم لم يفكروا في نقل هذا التراث إلى العربية، وكأنهم آثروا التمسك في قوة بالتراث المترجم المشرقى وما أضاف إليه علماء المشرق وفلاسفته، مما أحاله تراثاً للأمة، تراثاً مشتركاً، لا تختص به بلدة دون بلدة ولا فيلسوف دون فيلسوف ولا عالم دون عالم في محيط الأمة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.